

اقتضاء الصراط المستقيم (١)

لشيخ الإسلام ابن تيمية

لمحة عن الكتاب

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

هذا الكتاب من أنفس وأنفع الكتب في باب التشبه، إذ موضوعه الأصلي هو التشبه ومخالفة المشركين، في هديهم، وعبادتهم، وخصائصهم العادية "العادات" وخصائصهم الدينية، فهو يتحدث عن هذه القضايا، ويبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن هذه الأمة ستتبع سنن الأمم قبلها^(١)، وهذا يعني أن التشبه واقع لا محالة من هذه الأمة لغيرها من الأمم، فهذا أمر لا بد أن يقع؛ لأن الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عنه، والشارع يطالبنا في نفس الوقت أن ندافع هذا القدر وإن كنا لا نستطيع رفعه، ونحن متعبدون بمدافعتة، والمجاهدة من أجل نشر دين الله -عز وجل-، وإحقاق الحق، ودفع الباطل، وإنكار المنكر، مع أن الكفر والمعاصي لا بد أن يقع في الأرض، ولكن الله -عز وجل- يبلو بعض الناس ببعض وينظر كيف يعملون، ولكونه لا بد أن يقع لا بد من مدافعة.

وهذا الكتاب يتحدث عن بعض القواعد والضوابط المهمة التي يحتاجها طالب العلم حاجة ماسة؛ فيعرف الضابط في مسألة التشبه، ويعرف الفرق بين القضايا الدينية والقضايا العادية، ومتى يكون الشيء من قبيل التشبه ومتى لا يكون.

ويتحدث الكتاب عما وقعت فيه هذه الأمة من مضاهاة المشركين، وما وقع فيها من البدع في الدين، وما وقع فيها من الإخلال في العمل بالوقوع في المعاصي، وألوان من الشراكيات، والذنوب التي عمت وطمت في هذه الأمة، فهو يتحدث عن تعظيم القبور والطواف حولها.

ويتحدث عن البناء عليها كالقباب، ونحوه، ومن أين جاء هذا إلى الأمة، وكيف تفشى فيها، ودور الباطنية والرافضة والصوفية في مثل هذه الأشياء.

ويتحدث عما وقع لهذه الأمة من التمزق والتشردم والتفرق والتحزب، وما وقع لها من التنازع في كثير من الأمور بعد أن كانت أمة واحدة، فوقع لها ما وقع من الأمم قبلها.

ويتحدث عن الأعياد التي كانت في الجاهلية سواء عند العرب أو عند غيرهم من الأعاجم، وأنها أعياد بدعية، وهذا هو قلب موضوع الكتاب، إذ هو يتحدث عن التشبه إلا أن الموضوع الأساس هو موضوع الأعياد في الأصل، وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في ثنايا الكتاب أنه من أجل هذا الموضوع كتب هذا الكتاب وأن ما سواه فهو تبع، ويفصل في هذه الأعياد وحكم الاحتفال بها، ومتى يكون الشيء عيداً سواء كان زمانياً أو مكانياً، وهكذا يتحدث عن قضايا كثيرة جداً لها اتصال بهذا الباب مما يحتاج إلى معرفته، ولذلك فإن هذا الكتاب وقراءته من أنفع ما يعين طالب العلم على بناء قواعد، وأسس وضوابط

١ - رواه البخاري برقم (٧٣٢٠)، من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، ولفظه: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً شبراً ونزاعاً بنزاعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم))، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن؟))، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)).

يضبط بها فهمه، ويبني عليها أحكامه بمثل هذه الأبواب الدقيقة التي صارت الحاجة إليها أعظم ما تكون في هذا العصر؛ لكثرة ما وقع من المشابهة بين كثير من المسلمين وبين المشركين مما أورثهم تشابهاً في الباطن، ولهذا فإن شيخ الإسلام يركز في هذا الكتاب على أثر التشبه بالمشركين، وأنه يورث مشاكلة في الباطن، ويضرب لهذا أمثلة. والله تعالى أعلم.